

نفحات القرآن

[79] الفتح / 26) إِنَّ كَلِمَةَ "حَمِيَّة" مُشْتَقَّةٌ مِنْ مَادَّةِ "حَمَّي" عَلَى وَزْنِ "حَمْدٌ"، وَكَمَا يَذْكُرُ الرَّاعِبِيُّ فِي "مِفْرَدَاتِهِ" أَنَّ مَعْنَاهَا الْأَوَّلِي هُوَ الْحَرَارَةُ النَّاشِئَةُ مِنْ أَشْيَاءٍ مِثْلِ النَّارِ وَالشَّمْسِ وَالْقُوَّةِ الْبَاطِنِيَّةِ فِي جِسْمِ الْإِنْسَانِ (الْحَرَارَةُ الذَّاتِيَّةُ وَالْبَاطِنِيَّةُ لِلْأَشْيَاءِ)، وَلِهَذَا يُقَالُ لِرِثْقِ دَرَجَةِ حَرَارَةِ الْمَرَى (حُمَّى) عَلَى وَزْنِ (كُبْرَى)، وَبِمَا أَنَّ التَّعَصُّبَ وَالْغَضَبَ يُوَلِّدَانِ حَرَارَةً وَحَرَقَةً فِي بَاطِنِ الْإِنْسَانِ قِيلَ "حَمِيَّة". وَقَدْ جَاءَ فِي كِتَابِ "التَّحْقِيقِ فِي كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ" أَنَّ "الْحَمِيَّةَ" هِيَ شِدَّةُ الْحَرَارَةِ وَالْعَلَاقَةِ وَالتَّعَصُّبِ فِي الدِّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ(1). إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي حَوَادِثٍ صَلَحَ الْحَدِيثِيَّةُ وَتَوْضِيحُ الْقَضِيَّةِ: أَنَّ الرَّسُولَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قَصَدَ مَكَّةَ لِلْحَجِّ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ، إِلَّا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ مَنَعُوا الْمُسْلِمِينَ مِنْ دُخُولِ مَكَّةَ تَعَصُّبًا لِحَاوِلَتِهِمْ، مَعَ أَنَّ السَّامِحَ بِزِيَارَةِ مَكَّةَ لِلْجَمِيعِ كَانَ مِنْ قَوَانِينِهِمْ وَسُنَنِهِمْ الْمُسْلِمِ بِهَا، فَهَمَّ بِهَذَا أَنْتَهَكُوا حُرْمَةَ الْحَرَمِ الْإِلَهِيِّ، وَنَقَضُوا سُنَّتَهُمْ، إِضَافَةً إِلَى أَنَّهُمْ وَضَعُوا حَائِلًا ضَخْمًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحَقَائِقِ. إِضَافَةً "الْحَمِيَّةَ" إِلَى "الْجَاهِلِيَّةِ" مِنْ قَبِيلِ إِضَافَةِ "السَّبَبِ" إِلَى "مُسَبِّهِ"، التَّعَصُّبَ وَالْعِنَادَ وَالْغَضَبَ يَنْشَأُ عَنِ الْجَهْلِ دَائِمًا، لِأَنَّ الْجَهْلَ لَا يَسْمَحُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَرَى عَوَاقِبَ أَعْمَالِهِ، وَلَا يَسْمَحُ لَهُ قَبُولُ أَنَّ رُؤْيَتَهُ قَدْ تَكُونُ خَاطِئَةً، وَأَنَّ هُنَاكَ عُلَمَاءً أَوْسَعَ وَأكْبَرَ مِنْ عِلْمِهِ، وَلِهَذَا نَرَى أَنَّ شِدَّةَ عِنَادٍ وَتَعَصُّبٍ الْأَقْوَامِ الْجَاهِلَةِ أَكْثَرَ مِنْهَا فِي الْأَقْوَامِ الْآخَرَةِ. كَمَا أَنَّهُ لِهَذَا لِسَبَبِ نَفْسِهِ نَجِدُ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ عِنْدَمَا يَبْعَثُونَ إِلَى قَوْمٍ بِالرُّسُلَاتِ وَالْأَنْوَارِ الْإِلَهِيَّةِ السَّاطِعَةِ، يُوَاجِهُونَ مَقَاوِمَ عَنِيفَةً، وَيَتَهَمُّونَ بِمُخْتَلَفِ التَّهْمِ، وَقَدْ أُوْرِدَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ نَمُودَجًا مِنْ ذَلِكَ فِي سُورَةِ (ص)، الْآيَاتِ (4 إِلَى 7). (وَعَجَبُوا° أَلَا جَاءَهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّنْهُمْ° وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ مِثْلَ 1 - "هِيَ شِدَّةُ الْحَرَارَةِ، وَالْعَلَاقَةِ وَالتَّعَصُّبِ فِي الدِّفَاعِ عَنِ نَفْسِهِ وَالتَّعَفُّفِ وَالتَّرْفَعِ". (مَادَّةُ حَمَى).